المواجهة الاجتماعية

ان فتور حماس الاسرائيليين لاستقبال المهاجرين الجدد هو ظاهرة مألوفة في الحياة الاسرائيلية؛ بل ان التجربة الاسرائيلية، كلها، لم تشهد حماساً شعبياً يهودياً ازاء المهاجرين الجدد. وقد اعتاد المسؤولون الاسرائيليون على ترديد عبارة «ان الاسرائيليين يحبّون الهجرة، ولكنهم لا يحبّون المهاجرين». فالهجرة تعني اضافة عناصر قوة بشرية، وعسكرية، واقتصادية، الى كيان منهمك في صراع دائم مع محيطه الاقليمي. ولهذا، فهي موضع ترحيب عام. أمّا المهاجرون، كأفراد، فهم الثمن الذي ينبغي على التجمّع اليهودي الاسرائيلي دفعه، من خلال استيعاب هؤلاء المهاجرين، وتأمين السكن، والخدمات العامة، وفرص العمل، لهم. وهذا الثمن يكون، في العادة، على حساب المستوطنين القدامى؛ ولذلك لم يحظ المهاجرون بترحيب المستوطنين الأقدم.

وبالنظر الى حجم موجة الهجرة اليهودية الحالية، ومواصفات المهاجرين الجدد، ومؤهلاتهم وطموحاتهم الفردية، فان سلبية الجمهور الاسرائيلي تجاههم فاقت مستوياتها المألوفة، حيث أخذت أصوات اسرائيلية عديدة ترتفع، مطالبة بايقاف هذه الهجرة، أو توجيه المهاجرين السوفيات الى بلد غير اسرائيل. وبدأ السلوك الاسرائيلي اليومي إزاء المهاجرين الجدد يعكس قدراً أكبر من الرفض والكراهية والاستعلاء تجاه المهاجرين من الاتحاد السوفياتي سابقاً.

وبالمقابل، فان مشاعر الخيبة والندم أخذت تطغى على غالبية المهاجرين من الاتحاد السوفياتي؛ وبدأت أصواتهم ترتفع بالنقد للمجتمع الاسرائيلي، ولطريقة تعامله معهم، وكذلك للبيروقراطية الاسرائيلية، والتقصيرات في مجال تأمين السكن والعمل للمهاجرين الجدد. وكانت التظاهرات الضخمة للمهاجرين السوفيات، ونزوح الآلاف منهم عن اسرائيل، واقدام العشرات من المهاجرين الجدد على الانتحار، كلها تعبيرات عن رفض هؤلاء المهاجرين للمجتمع الاسرائيلي، أو، على أقل تقدير، لخيبة أملهم وعجزهم عن التكيّف مع معطيات الواقع الاسرائيلي.

وبصورة عامة، ثمّة حالتان من الرفض تتجابهان داخل اسرائيل. ودون المبالغة في مستوى التعبيرات الراهنة لهاتين الحالتين، فانهما تولّدان احتكاكاً سلبياً يجسّد الرفض المتبادل بين كل من المستوطنين القدامى والمهاجرين الجدد، ويخلق حالة من التوتر الاجتماعي الخاص، الذي شهدت التجمّعات الاستيطانية نماذج متعدّدة منه.

ان طبيعة التوتّر الاجتماعي الناجم عن موجة الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي سابقاً تختلف عن طبيعة التوتّرات التي يمكن ان تشهدها المجتمعات ذات النشأة الطبيعية؛ ذلك ان أسس التوتر في الحالة الاسرائيلية مختلفة عن أسس التوتر الاجتماعي في المجتمعات الطبيعية، حيث يتداخل هنا الأساس الاقتصادي في الأساس الطائفي والديني والسياسي.

الأساس الاقتصادي

تدفّقت موجة الهجرة اليهودية الراهنة على اسرائيل في وقت تفاقمت فيه الأزمة الاقتصادية الاسرائيلية. وكان أبرز تعبيرات هذه الأزمة تزايد عدد العاطلين عن العمل. ففي أواخر العام ١٩٨٩، بلغ عدد العاطلين عن العمل حوالى ١٥٠ ألف شخص، أي ما يساوي ٩,٥ بالمئة من اجمالي القوة العاملة في اسرائيل[٣]. ومع تدفّق آلاف المهاجرين السوفيات على اسرائيل، بدأت عملية التنافس على فرص العمل المتاحة تأخذ أبعاداً خطرة بين المستوطنين القدامى والمهاجرين الجدد. فحاجة